الشعر الشعبي المغاربي

المفهوم والتسمية:

إنّ الشعر الشعبي شكل من أشكال التعبير الأدبي الشعبي، وإبداع شفوي يمثل مشاعر وأحاسيس الشعوب من خلال تصويره لجوانب وواقعه، إذ يعتبر سجل صادق يبرز هوية الأمة من خلال ماضيها وتراثها.

وهو الشعر المختلف عن الشعر الفصيح، حيث تكون لغته شعبية؛ أي أنها تنتمي إلى الحضر والبادية، وغالبا ما يختلف عن الشعر الفصيح في طبيعته وشكله ونظمه ومن حيث اللغة والأوزان[34].

ويعرفه الباحث عبد الكريم قذيفة بأنه كل كلام منظوم في بيئة شعبية بلهجة عامية تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأماله وأمانيه، توارثه الأجيال عن بعض مشافهة، ويمكن أن يكون الذي يقول الشعر الشعبي أميا أو متعلما[35]

والنص الشعري الشعبي هو نص وظيفي عملي يؤدى في المناسبات أو يقال لغرض أو غاية معينة، وهو يتغير بتغير الظروف مسايرا للأحداث والمراحل[36].

واختلف الدارسون والباحثون في مجال الأدب الشعبي على تسمية الشعر الشعبي موظفين العديد من المصطلحات مثل: الشعر الملحون، الزجل، الشعر العامي، الكلام أو الميزان الغنا، اللغا، القول...وغيرها ، وذلك لاختلاف الرؤى واستنادا لخصائص الشعر لكل رؤية.

وفضل العديد من الباحثين في الشعر الشعبي استعمال مصطلح الشعر الملحون عن استعمال المصطلحات الأخرى وخاصة مصطلح الشعر الشعبي.

فالباحث المرزوقي يرى أن الشعر الملحون هو أعم من الشعر الشعبي؛ حيث أن الشعر الملحون يشمل المعروف المؤلف ومجهوله[37].

ويخالفه الرأي عبد الله الركيبي فيرى أن تسمية الشعر الملحون يطلق على الشعر الذي يلحن ويغنى أو ينشد في الأسواق، وعرف قائله أو لم يعرف، ومع مرور الزمن يفقد صفة الخصوصية ويتحول إلى جماهيري، أما الشعر الشعبي فيعرفه على أنه كلام منظوم بلهجة عامية توارث جيلا عن جيل شفاهة[38].

ويتفق معه بن الشيخ التلي على أنه لا يجب إبعاد صفة الشعبية عن الشعر الملحون، حيث أن كلمة ملحون أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي شعرا ونثرا، بالإضافة إلى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشفهي[39].

أنواع الشعر الشعبي المغاربي:

ينقسم الشعر الشعبي في بلاد المغرب العربي إلى قسمين رئيسيين هما:

1-الشعر الشعبي البدوي:

ينحدر هذا النوع من الشعر الشعبي من شعر الهلاليين الذين وفدوا إلى المغرب العربي من الجزيرة العربية، ويتميز به المناطق الداخلية والصحراوية من المغرب، ويشبه نوعا ما الشعر الجاهلي، لأن اللغة العامية في البادية والقرى احتفظت بطابع عربي وهي قريبة للغة الفصيحة، ومن حيث طريقة البناء وقوة اللغة والتصوير، ونجد فيه الأغراض الشعرية نفسها من غزل ووصف ورثاء وفخر وفروسية.

أشكال الشعر البدوي:

- **القول:**

هو عبارة عن قصيدة تكون قصيرة وتسرد من خلال إيقاع سريع وشديد التكثيف، ويتناول فيه الشاعر كل المواضيع والأغراض باستثناء الهجاء والمدح، يؤدي القصيدة القوال (شخص محترف) أمام الناس في التجمعات والمناسبات.

- **القطاعة:**

يمثل هذا النوع من الشعر البدوي القصائد التي تنشد أثناء الترحال والسفر، وفي غالب الأحيان ترتجل، ويتم ترديدها للتسلي في الطريق، وتكون مواضيعها حول السفر والمناظر وما يصادف في الطريق، ويبدؤها القائلون دائما بدافع أو سبب السفر.

ومن مثال ذلك قول الشاعر الجزائري الحاج عمر بن الجيلاني حمر العين:

النزلة اللي كان غاشيها مردوس

ورجال ينحو على الثلب اعلالو

كان أمعمر رابط هنايا مڤروس

وامحمد لو كان راهم مازالو

أبيض ثلج على جبل ديرة مرصوص

ولاّ جير على أماسح ميثالو

السرج أحمر والزويجة والخيدوس

وأمكاحل غرطاس للصيد يوالو

إذا فزو ما يجي ڤامح مخصوص

يسعيهم جملى أمحمد باقتالو

أحلاليب مكدرة واذواد احبوس

كاذا من رعيان سراح أموالو

كان أحمد بن يوب فارس ضد ألصوص

- **<u>المرثية:</u>**

هذا النوع من الشعر البدوي أقل انتشارا من الأشكال السابقة الذكر لأخرى، وذلك بسبب ما يتطلبه من صنعة، ويحتاج إلى إبداع فردي وكذلك مناسبة تتمثل في وفاة أحد قريب للشاعر أو القائل.

ولعل أبرز المرثيات في الموروث المتداول في الجزائر تمثلت في مرثية حيزية[41] للشاعر المعروف في منطقة بسكرة محمد بن قيطون، والتي تروي قصة حيزية وحبها لسعيّد ولشدة لوعته بعد وفاتها لجأ لصديقه الشاعر بن قيطون ليرثيها فقال:

عزوني يا ملاح في رايس البنات * سكنت تحت اللحود ناري مكديا**

يـاخي أنـا ضرير بيـا ما بيـا * قلبي سافر مع الضامر حيزيـا**

يا حسراه على قبيل كنا في تاويل ***كي نوار العطيل شاون نقضيـا

ما شفنا من دلال كي ظي الخيـال* راحت جدي الغزال بالزهد عليـا**

وحومة لفاوات عز العطايف ** حتى وهي محيلة ** تربى المهازيل جلة خويلة

مرايف علي عكرمة والسراتلي **دمعي نهيلة ** زواعب علي لحيتى سـال سيله

2-**الشعر الشعبي الحضري:**

تأثر الشعر الشعبي في بلاد المغرب العربي بثقافة الأندلسيين، حيث حملوا معهم أنماطا كثيرة مثل الزجل والموشح والتي ظهرت جليا في الأشعار الحضرية بسبب اختلاط الأجناس، اختلاف العادات والتقاليد، فالشعراء الجزائريون اطلعوا وتعلموا الموشحات والأزجال الأندلسية وقلدوها لتلبية حاجات المجتمع الفنية والذوقية[42]، فوصفوا مجالس الغناء ومفاتن المرأة والمديح الديني، ويتميز الشعر الحضري بالعبارات السهلة والأسلوب الرقيق، ويكون شطر القصيدة قصير حيث يتناسب مع خاصية الغناء.

أشكال الشعر الحضري:

- **الحوفي:**

هو نوع يتغنى به النساء في الحدائق والمنتزهات، وأثناء ممارستهن لبعض طقوس اللعب والتسلية وخلال زيارة أضرحة الأولياء وأيام الربيع، وهو نوع مجهول المؤلف وينتمي للأصول الأندلسية، وينتشر في تلمسان وفاس، يتميز بالألفاظ الرقيقة والعبارات الجميلة والإيقاع الخفيف مما يتناسب مع الألحان والغناء.

يرتبط الحوفي بلعبة الأرجوحة، والتي تعتبر تسلية للنساء، فتتغنى النساء والفتيات:

جغليلة ياشابات*صاحبي مشى يقرا**

لابس كسا من حرير*راكب على الشقرا**

لوحته ذهب بالنقش*ودوايته نقرة**

يفتح عليه خالقي*باش يحفظ البقرة**[43]

ومن أغراض الحوفي الغزل الذي يمثل أغلب قصائده، والدين، والتبرك بالأولياء.

وقيل في الدين والحج:

اطلبت على ربي*ثلاث لا منة**

الحج والصلاة* ودخول الجنة**

يوم لخميس يا ناس* يسافروا الحجاج**

حتى لقبر النبي* يتقافلوا الأمواج**

باسم الله بديت* وعلى النبي صليت**

اسلامي على لمرابطين* وعلى رجال الله**

- **البوقالة:**

سميت بالبوقالة نسبة إلى الإناء الفخاري الذي يستعمل في جلسات البوقالات، تردد في سهرات وتجمعات النساء وخاصة في شهر رمضان من خلال طقوس معينة تتميز كل منطقة في المغرب العربي بطقوسها، تستعرض النساء ويتباهين بما حفظنه عن أسلافهن من شعر، وتتميز بالقصر وأبيات تتحدث عن الحب والفراق والحظ والعلاقة مع الناس وفي بعض الأشعار يستحضرن الغيب والمستقبل، وهذا التراث الشعبي قديم العهد ويقال أنه تراث تركي كانت النساء التركيات يقمن سهرات ليلية ويرددنا بعض الكلام الموزون كأمنيات لمستقبلهن ورجاء للقاء أحبابهن.

ونسوق بعض البوقالات الجزائرية:

- هو فن إبداعي مليء بالصور والتعبيرات الشعرية القائمة على الخيال وذاكرة الإنسان الريفي والبدوي، احتفظت بها الأجيال المتعاقبة لقرون طويلة.
- ارتبط الشعر الشعبي في المغرب العربي، وخاصة في الجزائر والمغرب، بالتصوف فجاء على شكل مواعظ دينية ومديح للنبي عليه الصلاة والسلام، ويظهر تأثر الشاعر الشعبي الصوفي بالثقافة الدينية والشعبية من خلال ما تقدمه الزوايا والمساجد. ومن أمثال الشعراء المتأثرين بالتصوف:

- عبد العزيز المغراوي.

-الحاج محمد النجار

-الحاج عيسى لغواطي

إنّ الشعر الشعبي يعتبر من أهم عناصر وأشكال التعبير الشعبي وأوسعها، حيث أنه يشكل أكبر شكل من حيث الكم والأنواع والأغراض، وكذلك لأنه لم يتوقف حيث يستمر في الإنتاج إلى يمنا هذا، فالشاعر الشعبي مازال يتغنى بالأشعار الشعبية المنبثقة من حياته في كل المجالات لكنه يعتمد إلى حد كبير على الضوابط والمعايير التي تميز بها الشعر الشعبي منذ القدم والذي وصل إلينا.

وعليه فإنّ هذا الشعر كسائر الأشكال الأدبية الشعبية يتميز عن غيره في الأدب العادي من خلال خصائص يمكننا إيجازها في الآتي:

- استعمال اللغة السهلة والبسيطة، والتي تكون قريبة وسهلة من كل طبقات المجتمع على حد تعبيري ليفهمها عامة الناس، وعليه فإنّ لغة الشعر الشعبي تتمثل في غالب الأحيان في اللغة الدارجة أو العامية، بكل لهجاتها على مستوى القطر المغاربي، ويقترن في بعض الأحيان ببعض الكلمات الفصيحة أو القريبة من الفصحى، دون الحفاظ على أصل الكلمة والتقيد بظوابط النحو والصرف، وتختلف مع اللغة الفصحى من خلال النطق ومخارج الحروف، ففي اللغة العامية لا يشكل أواخر الكلمات، كما يمكن تكرار السكون وبعض الحركات والحروف.